﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥﴾ [الأعراف: 175]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

ذِكْرُ حالِ مَنْ كفرَ ونَقَضَ الميثاقَ بعدَ الأخذِ بِهِ

لَمَّا كان تعالى قد ذكر أَخْذَ الميثاقِ على توحيدِهِ تعالى وتقرير رُبوبيَّتِهِ، وذَكَرَ إقرارَهم بذلك، وإشهادَهم على أنفسِهم - ذَكَرَ حالَ مَنْ آمنَ بِهِ، ثُمَّ بعد ذلك مَنْ كَفَرَ، كمَثَلِ الَّذي آتاهُ اللّٰهُ آياتِهِ، فانسلخَ منها[1]، فذكرَ ما وقع له في نبذِ العهدِ والانسلاخِ من الميثاق، بعد أن كانَ قد أُعطيَ الآياتِ، وأُفرِغَ عليه من الرَّوْحِ[2]؛ فأشارتْ هذه الآيةُ للَّتي قبلَها أنَّها إشارةٌ للعبرةِ من حالِ أحدِ الَّذين أخذَ اللّٰهُ عليهم العهدَ بالتَّوحيدِ والامتثالِ لأمرِ اللّٰهِ، وأمدَّه اللّٰه بعلمٍ يعينهُ على الوفاءِ بما عاهدَ اللّٰه عليهِ، وما أودعَ في فطرتِهِ، ثم لَمْ ينفعْهُ ذلك كلُّه، حين لم يُقَدِّر اللّٰهُ له الهُدى المُسْتَمِرَّ[3].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نَبَأَ﴾: النَّبأُ: خَبَرٌ له شَأْنٌ، وفائدةٌ عظيمةٌ، يقال: نَبَأ ونَبَّأ، أي: أخبر، ومنه أُخذ النَّبيءُ؛ لأنَّهُ أَنْبَأَ عن اللّٰه تعالى[4]، يحصُلُ به عِلمٌ أو غَلَبَةُ ظَنٍّ، وأصلُ (نَبَأَ): الإتيانُ مِن مكانٍ إلى مكانٍ[5]، والمعنى هُنا: أي: خبر الَّذي أعطيناهُ آياتِنا، وعلَّمناه حُجَجَ التَّوحيد، وفَهَّمناه أدلَّته[6].

(1) أبو حيَّان، البحر المحيط: 220/5 - 221.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 156/8.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 173/9.
(4) أبو بكر الأنباريّ، الزَّاهر في معاني كلمات النَّاس: 169/2.
(5) الرّاغب، المفردات، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (نبأ)، وابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 142، والسّجستانيّ، غريب القرآن، ص: 461، وص: 788، وابن الهائم، التّبيان، ص: 157، والكفويّ، الكليّات، ص: 200.
(6) السَّمرقنديّ، بحر العلوم: 566/1، والواحديّ، التَّفسير الوسيط: 427/2.

2) ﴿ٱنسَلَخَ﴾: أي: خرَجَ مِن العَمَلِ بها، وأصلُ (سلخ): إخراجُ الشَّيءِ عَن جِلدِه[1]، والسَّلْخُ: كَشْطُ الإهابِ عن بَدَنِه[2]، وانسلخَ الشَّيءُ: مُطاوع سلَخَ، أي: نُزِع جِلْده، انقطعَ، وانفصلَ، وقوله: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾: نزعَ نفسَه منها بأنْ كفرَ بها، وخرجَ عنها[3]، والمعنى هُنا: خَرَجَ منها كما ينسلخُ الإنسانُ من ثوبِه[4].

3) ﴿فَأَتْبَعَهُ﴾: أدرَكَه ولَحِقَه[5]؛ والإتباعُ: اقتفاءُ الأثر[6]، يُقال: أتبعتُ القَومَ: إذا لحِقتُهم، وأتبَعْتُه، وتَبِعْتُه: لحقتُه وسرتُ خلفه[7]، وَأصل (تبع): يدلُّ على التُّلُوِّ والقَفْوِ[8]، والمعنى هُنا: لَحِقَهُ، وأدركه، وصيَّره لنفسه تابعًا في معصيةِ الله تعالى[9].

4) ﴿ٱلْغَاوِينَ﴾: أي: الضَّالِّينَ الهالِكينَ، يُقال: غَوَى يَغْوِي غَيًّا[10]، والغَيُّ: الضَّلالُ والانْهِمَاكُ في الباطِل[11]، والجهلُ من اعتقادٍ فاسد[12]، وأصلُ (غوي): يدلُّ على خِلافِ الرُّشدِ[13]، والتَّغاوي هو التَّجمُّع والتَّعاون على الشَّرِّ، وأصلهُ: من الغواية أو الغيِّ، يبيِّن ذلك شعرٌ لأخت المنذر بن عمرو، قالتهُ في أخيها:

تَغَاوَتْ عَلَيْهِ ذِئَابُ الحِجَازِ *** بَنُو بَهْثَةٍ وَبَنُو جَعْفَرِ[14]

والمعنى هُنا في الآية: فكانَ من الهالكينَ، لضلالِه وخلافِه أمرَ ربِّه[15].

(1) الرّاغب، المفردات، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (سلخ)، وابن الجوزي، تذكرة الأريب، ص: 121.
(2) الخليل، العين: (سلخ).
(3) أحمد مختار عمر، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة: (سلخ).
(4) السّجستانيّ، غريب القرآن، ص: 104.
(5) الزبيدي، تاج العروس: (تبع).
(6) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: 255/1.
(7) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: 255/1، والنيسابوري، إيجاز البيان عن معاني القرآن: 348/1، وباهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن: 543/1.
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: 362/1، والرّاغب، المفردات، ص: 162، وابن الجوزيّ، تذكرة الأريب، ص: 121.
(9) الشربيني، السّراج المنير: 535/1.
(10) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (غوى).
(11) ابن الأثير، النّهاية في غريب الحديث والأثر: 397/3.
(12) الفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: 155/4.
(13) ابن جرير، جامع البيان: 576/10، والرّاغب، المفردات، ص: 620، وابن الجوزيّ، تذكرة الأريب، ص: 121.
(14) ابن جرير، جامع البيان: 576/10، والرّاغب، المفردات، ص: 620، وابن الجوزيّ، تذكرة الأريب، ص: 121.
(15) ابن جرير، جامع البيان: 261/13.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ذِكْرُ قصَّةِ الرَّجلِ الَّذي ترك آياتِ الرَّحمنِ، واتَّبع الشَّيطانَ فضلَّ عن السَّبيلِ

واقرأ - أيُّها الرَّسول - على أُمَّتِك خبرَ رجلٍ من بني إسرائيلَ، أعطيناهُ حُجَجَنا وأدلَّتنا، فَعَلِمَهَا، وفَهِمَ الحقَّ الَّذي دلَّت عليه، ولكنَّه لم يعملْ بها، بل تركَها، وانخلعَ منها، فلحقَهُ الشَّيْطان، وصار قرينًا له، فأصبحَ من الضَّالِّين الهالكين، بسبب مُخالفتِهِ أمرَ ربِّ العالمين، وطاعتِهِ الشَّيطانَ اللَّعين[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالةُ الواوِ في قولِهِ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾:

العطفُ على القريبِ في هذهِ الآيةِ، وعلى البعيدِ في قِصَّةِ أصحابِ السَّبتِ

قولُهُ تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ عطفٌ على المضمرِ العاملِ في ﴿وَإِذْ أَخَذَ﴾، واردٌ على نمط الإنباءِ عن الحَورِ بعد الكَورِ، أي: واقرأْ على اليهودِ أو على قومك ﴿نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾، أي: خبرهُ الَّذي له شأنٌ وخطرٌ[2]، ويحتمل أن يكون عطفًا على ﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾ [الأعراف: 163] عَطْفَ قصَّةٍ على قصَّة[3].

سِرُّ التَّعبيرِ بالفعلِ ﴿وَٱتْلُ﴾:

في التِّلاوةِ معنى التَّكرارِ الدَّاعي إلى التَّذكُّرِ والاعتبارِ

﴿وَٱتْلُ﴾: أي: اقرأ شيئًا بعد شيءٍ، فعلُ أمرٍ مُوجَّهٌ إلى الرَّسولِ محمَّدٍ ﷺ[4] - يقالُ: تلاهُ يتلوهُ تُلُوًّا وتلاوةً، أي: تبعَهُ، والتِّلاوةُ القراءةُ، وإلقاءُ الكلام الَّذي يُعاد، ويكرَّرُ للاعتبارِ بِهِ[5]، وعبَّر في هذه القصَّة بقولِهِ: ﴿وَٱتْلُ﴾ دون ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ [الأعراف: 163] نحو ما مضى في القريةِ؛ لأنَّ هذا الخبرَ ممَّا يُحبِّون ذِكرَهُ؛ لأنَّ سَلْخَهُ من

(1) لجنة من عُلماءِ الأزهر، المنتخَبُ في تفسير القرآنِ الكريم، ص: 235، ونُخْبة من أساتذة التَّفسير، التَّفسير المُيَسَّر، ص: 173، وجماعَةٌ من علماء التَّفسير، المخْتَصَر في تفسير القرآن الكريم، ص: 173.

(2) الخازن، لباب التَّأويل في معاني التَّنزيل: 269/2، والآلوسيّ، روح المعاني: 103/5.

(3) الصّاوي، حاشية الصّاوي على تفسير الجلالين: 573/11.

(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 156/8.

(5) محمّد رشيد رضا، تفسير المنار: 405/9.

الآيات كانَ لأجلِهم، فهو شرفٌ لهم، فلو سألهم عنه؛ لبادروا إلى الإخبارِ بهِ، ولم يتلَعْثَموا، فلا تكونُ تلاوتهُ ﷺ بعد ذلك لَمَا أُنزلَ في شأنِه، واقعًا موقعَ ما لو أخبرَهُم به قبلُ[1].

إيثارُ التَّعبيرِ بالنَّبأِ دونَ الخبرِ:

تعظيمُ الخبرِ إغراءٌ بالعنايةِ بهِ، وإيضاحٌ لمدلولِهِ

في قولِه: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾ أُوثِر التَّعبير بالنَّبأ دونَ الخبر، والنَّبأُ في نفسِهِ: الخبرُ البارزُ الظَّاهر ذو الأهمِّيَّة الَّذي يلفتُ إليه أنظارَ أولي الألبابِ، ويمكن أن يُنتفعَ بهِ، وليسَ مطلقَ خبرٍ؛ لذا استخدمَهُ هنا، ولم يستخدمْ لفظَ الخبرِ، ولذلك يقولُ ﷻ عن اليوم الآخر[2]: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢﴾ [النَّبأ: 1 - 2] والمقصودُ من تلاوة هذا الخبرِ تحذيرُهم وتقريعُهم، وتشبيهُهم بالمنسلخِ من آياتِ اللهِ؛ لكونِهم عرفوا الكتابَ والعلمَ الأوَّلَ، فانسلخوا من ذلك، وكفروا بمحمَّدٍ ﷺ بُغضًا وحسدًا له[3].

دلالةُ مرجعِ الضَّميرِ في ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾:

تَنَوُّعُ مَرجعِ الضَّميرِ بحسبِ سياقِ القِصَّةِ ومعناها ومغزاها

﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: على اليهود[4]، وقيل: ضميرُ ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ راجعٌ إلى المشركين الذين وُجِّهت إليهم العِبَرُ والمواعظُ من أوَّلِ هذه السُّورة، وقُصَّت عليهم قصصُ الأمم مع رُسلِهم، فشأنُ القصصِ المفتتحةِ بقولِه: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ﴾ أن يُقْصَدَ منها وعظُ المشركين بصاحبِ القصَّةِ بقرينةِ قولِه: ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ﴾، على أنَّ توجيهَ ضمائرِ الغيبةِ إليهم أسلوبٌ مُتَّبعٌ في مواقعَ كثيرةٍ من القرآن، ويحصل به تعليمٌ واعتبار مثل قوله: ﴿*وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ﴾ [يونس: 71] ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾ [الشعراء: 69] وقوله: ﴿نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 158/8.
(2) الشّعراوي، تفسير الشّعراويّ: 4454/7.
(3) عبد الرّزاق، رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز: 302/2.
(4) البيضاويّ، أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل: 42/3.

﴿وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ﴾ [القصص: 3]، فهو من قبيلِ ردِّ العَجُز على الصَّدرِ[1]، وقيل: إنَّ الضَّميرَ عائدٌ على حاضري محمَّد ﷺ من الكفَّارِ وغيرهم؛ على من كان حاضرًا من كفَّار اليهود وغيرهِم[2]، والظَّاهرُ أنَّ الضَّميرَ في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ صالحٌ لأن يُرادَ به كلُّ من يصلح؛ لأنْ يُتلى عليه القرآنُ من مؤمنٍ وغيره، بل إنَّ المؤمنين أولى من غيرِهم، بأن يتلى عليهم هذا النَصُّ العظيم من السُّورةِ، إذ يتحدَّث عن قصص الَّذين أتتهم آياتُ اللّهِ فآمنوا بها، ولبسوهَا كجلودِهم، ولكنْ لم يلبثوا حتَّى انسلخوا منها.

مُناسبةُ فعلِ التِّلاوة مع سياقِ قَصِّ القصَّةِ وسَرْدِها:

تبليغُ التَّعليم للعربِ الأمِّيِّين، بما يُساوون فيه أهلَ الكتابِ

ومُناسبةُ فعلِ التِّلاوة لهم أنَّهم كانوا قومًا تغلبُ عليهم الأمِّيَّة، فأراد اللّهُ أن يُبلِّغَ إليهم من التَّعليم ما يُساوون به حالَ أهلِ الكتابِ في التِّلاوةِ، فالضَّميرُ المجرورُ بالحرف (على)، عائدٌ إلى معلومٍ من السِّياق، وهم المشركونَ؛ وكثيرًا ما يجيءُ ضميرُ جمع الغائبِ في القرآن، مرادًا بهِ المشركونَ، كقولهِ: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١﴾ [النَّبأ: 1][3].

سِرُّ التَّعبيرِ بالاسمِ الموصولِ الخاصِّ (الَّذِي):

الدَّلالةُ على أنَّ صاحبَ القِصَّةِ واحدٌ مُعيَّنٌ، معلومٌ صفةً واسمًا

وظاهرُ اسمِ الموصولِ المفردِ أنَّ صاحبَ الصِّلةِ واحدٌ معيَّن، وأنَّ مضمونَ الصِّلةِ حالٌ من أحوالهِ الَّتي عُرف بها[4]، وهو بلعام بن باعور للسِّباقِ واللَّحاق[5]، وقيل غيرُه؛ وأيًّا كان؛ فهو واحدٌ من النَّاس هذه قِصَّتُه وحاله، وعُبِّرَ بالاسم الموصولِ لتنبنيَ عليه جملةُ الصِّلةِ الَّتي بها اشتُهِر وعُرِفَ.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتنوير: 174/9.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 476/2، وأبو حيَّان، البحر المحيط: 220/5.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتّنوير: 174/9.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتّنوير: 174/9.
(5) البقاعي، نظم الدُّرر: 157/8.

بلاغةُ إسنادِ الفعلِ إلى نونِ العظمةِ في قولِهِ: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ﴾:

تعظيمُ لَفْظِ الإيتاءِ، بعد تعظيمِ خبرِه بلَفْظِ الإنباءِ

قولُهُ تعالى: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ﴾ علَّمناهُ حُجَجَ التَّوحيدِ، وأفهمناهُ أدلَّتَهُ حتَّى صارَ عالمًا بها[1]، وجيءَ بالفعلِ (آتى) مُسْنَدًا إلى ضميرِ العَظَمَةِ وضميرِ الكبرياء؛ لتعظيم ما آتاه اللّهُ من العلم فأخبَرَ سبحانه أنَّه هو الَّذي آتاهُ آياتِه، فإنَّها نعمةٌ، واللّهُ هو الَّذي أنعَمَ بها عليه، وأضافَها إلى نفسِه، فعظَّمَ ما أعطاهُ بمَظهرِ العَظَمةِ، بالإضافةِ إلى لَفْظِ الإيتاءِ، بعد ما عَظَّمَ خَبَرَه بلَفْظِ الإنباءِ[2].

بلاغةُ الاستعارةِ في قولِهِ: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾:

تصويرُ العملِ القبيحِ يبشِّعُهُ إلى النُّفوس، ويستحقُّ صاحبُهُ أشدَّ العذابِ

قَولُه تعالى: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ أي: خرجَ منها، كما تنسَلِخُ الحيَّةُ من جِلْدِها، وفارَقَها فِراقَ الجِلدِ ينسَلِخُ عن اللَّحمِ[3]، والانسلاخُ حقيقتُهُ خروجُ جسدِ الحيوانِ من جلدِه، حينما يسلخُ عنه جلدُهُ، والسَّلخُ إزالةُ جلدِ الحيوانِ الميِّت عن جسدِه، واستُعيرَ في الآيةِ للانفصالِ المعنويِّ، وهو ترْكُ التَّلبُّس بالشَّيء أو عدم العملِ به، بطريقِ الاستعارة التَّصريحيَّةِ التَّبعيَّة؛ ومعنى الانسلاخ عن الآيات، الإقلاعُ عن العملِ بما تقتضيهِ[4]؛ لأنَّ الانسلاخَ يدلُّ على أنَّ الشَّيءَ كان موجودًا فيه ثمَّ خرجَ منه، لا على أنَّهُ لم يوجد فيه أصلًا، وأيضًا ثبت بالأخبار: أنَّ الآيةَ نزلت في إنسانٍ كان عارفًا بدينِ اللّهِ، ثمَّ خرجَ من المعرفةِ إلى الكفرِ والغواية[5]، وفيه مبالغةٌ في التَّبرِّي منها والبعد، أي: لم يعمل بما اقتضتهُ نعمتنا عليه من إتيانِهِ آياتنا، جُعِلَ كأنَّهُ كان متلبِّسًا بها كالثَّوب، فانسلخَ منها،

(1) السّمرقنديّ، بحر العلوم: 566/1، والمراغي، تفسير المراغي: 107/9.

(2) نظم الدّرر للبقاعي: 156/8، وهو الّذي عليه جمهور المفسّرين، يُنظَر: ابن قيّم الجوزيّة، إعلام الموقعين: 129/1.

(3) البغويّ، معالم التّنزيل في تفسير القرآن: 224/8، والسّمرقنديّ، تفسير السّمرقنديّ: 566/1، وابن قيّم الجوزيّة، تفسير القرآن الكريم، ص: 290.

(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 176/9.

(5) نظام الأعرج، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: 345/3.

وهذا من إجراءِ المعنى مجرى الجزم[1]، فالاستعارةُ جسَّدت مدى تمكُّنِهِ من العلم بالآياتِ، حتَّى صارَ تركها انسلاخًا، ممَّا يجعلُ تركها بعد التَّمكُّن من العلم بها أقبحَ القبائحِ، فاستحقَّ أسوأَ عقوبةٍ وأشدَّها، كما أنَّ التَّعبيرَ بالانسلاخِ المُستعمَلِ عند العَرَبِ في خروجِ الحَيَّاتِ والثَّعابينِ أحيانًا مِن جُلودِها؛ يدلُّ على أنَّه كان متمَكِّنًا منها ظاهرًا، لا باطنًا[2]، وفي هذه العبارة أيضًا استعارةٌ بديعةٌ أخرى، قائمةٌ على تشبيهِ الإيمانِ بآياتِ اللّه، والعمل بها، كالمحتمي بجلدٍ ملتصقٍ بلحمِ بدنه، أو شبَّه الآياتِ النَّيِّرةَ الدَّالَّةَ، بالثِّياب السَّابغة الَّتي تلازمُ الشَّخص، ولا تَنْفكُّ عنه حتَّى يخلعها[3]، فمن تركَها تعرَّى كما تتعرَّى الشَّاة[4]، وفي هذا دليلٌ على أنَّ الآياتِ محيطةٌ بالإنسانِ إحاطةً قويَّة، لدرجة أنَّها تحتاجُ جبروتَ معصيةٍ لينسلخ الإنسان منها؛ لأنَّ الأصل في السَّلخِ إزاحةُ جلدِ الشَّاة عنها، فكأنَّ ربَّنا يوضِّح أنَّه ﷻ أعطى الإنسانَ الآياتِ، فانسلخَ منها، وهذا يعني: أنَّ الآياتِ تحيطُ بالإنسان، كما يحيط الجلدُ بالجسمِ ليحفظَ الكيانَ العامَّ للإنسانِ[5].

إيثارُ التَّعبيرِ بالانسلاخِ على الانقطاعِ:

﴿فَٱنسَلَخَ﴾، أي: فارقها بالكلِّيَّةِ كما تَنسلخُ الحيَّة من قشرها[6]، ولم يَقُلْ: (انقطع) عنها؛ لأنَّ الانسلاخَ أبلغُ، كانسلاخِ الجلدِ من الجسدِ، فلا يَرْجِعُ إليهِ أصلًا؛ بخلافِ الانقطاع[7]، إذ انسلاخهُ منها تجرُّدُه وانسلالُه منها، وتركُهُ إيَّاها بحيثُ لا يلتفتُ إليها

بيانُ أنَّ الانسلاخَ أبلغُ في تركِ الحقِّ، وعدمِ الرُّجوعِ إليه

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 220/5.
(2) محمد رضا، تفسير المنار: 340/9، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 107/9.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 3007/6.
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 3007/6.
(5) تفسير الشّعراويّ: 4455/7.
(6) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 157/8.
(7) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 266/2.

لاهتداءٍ ولا اعتبارٍ ولا عملٍ[1]، كما أنَّه لم يقُلْ: (فَسَلَخْنَاهُ مِنْهَا)؛ لأنَّه هو الَّذي تسبَّبَ في انسلاخِه منها باتِّباعِ هواه[2]، ففي التَّعبيرِ بهِ ما لا يخفى من المبالغةِ، واستأنسَ بعضُهم بهذه الآية؛ لأنَّ العلمَ لا يُنزع من الرِّجال، حيثُ قالَ ﷻ: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾، ولم يَقُلْ ﷻ: (فانسلخَتْ منه)[3].

بلاغةُ التَّعبيرِ بالفعلِ ﴿فَأَتۡبَعَهُ﴾:

المبالغةُ في اللُّحوقِ بالشَّيطانِ ومسابقتِهِ، تصيِّرُهُ إمامًا للشَّيطان

قولهُ: ﴿فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾، فَأَتْبَعَهُ مِن (أَتْبع) رُباعيًّا، أي: لَحِقَهُ، وصارَ معه، وصيَّره تابعًا[4]، وهي مُبالغةٌ في حقِّه؛ إذ جُعِلَ كأنَّه هو إمامٌ للشَّيطانِ يَتْبَعُه، وكذلك قولُه تعالى: ﴿فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ١٠﴾ [الصّافات: 10][5]، وأتبع: فعلٌ ماضٍ رباعيٌّ يتعدَّى لواحد، فيكون بمعنى: أَدركه، ولَحِقَهُ غير مُفْلِتٍ، ويتعدَّى لاثنين، فتكون الهاءُ المفعولَ بهِ الأوَّلَ، والمفعولُ بهِ الثَّاني محذوفٌ، تقديره: فَأَتْبَعه الشَّيطانُ خطواتِهِ، أي: جعلهُ تابعًا لها، وتسلَّط عليه، حين خرجَ من الحصنِ الحصينِ، وصارَ إلى أسفلِ سافلين[6]، فبعدَ أنِ انسلخ من الآياتِ باختيارِهِ، لَحِقَهُ الشَّيطان، فأدركَهُ، وتمكَّنَ من الوسوسة لهُ؛ إذ لم يبقَ لديهِ من نورِ البصيرةِ، ولا أماراتِ الهِداية ما يحولُ بينهُ وبينَ قَبولِ وسوستِهِ وسلوكِ فهمِهِ، فصارَ من الضَّالِّين المُفسدين[7]، فهذه مُبالغةٌ في ذمِّ هذا الإنسانِ وتحقيرِهِ؛ حيث جُعِلَ كأنَّه إمامٌ للشَّيطان، والشَّيطانُ يتبعه، فهو على حدِّ قولِ القائلِ:

(1) رشيد رضا، تفسير المنار: 405/9.
(2) ابن قيّم الجوزيّة، إعلام الموقّعين: 129/1، وابن قيم الجوزيّة، تفسير القرآن الكريم، ص: 290.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 104/5.
(4) الثّعالبيّ، تفسير الثّعالبيّ: 93/3.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 222/5.
(6) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 476/2، ودرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه: 495/3.
(7) أحمد مصطفى المراغيّ، تفسير المراغيّ: 107/9.

وكُنْتُ امْرَءًا مِنْ جُنْد إبْليسَ فَارْتَقَى ***

بِيَ الحَالُ حَتَّى صَارَ إبْلِيسُ مِنْ جُنْدِي[1].

وهو من الذَّمِّ بمكان[2].

ترتيبُ أفعالِ الانسلاخِ والاتِّباعِ والكونِ من الغاوين بفاء العطف:

مجيءُ تَرتيبِها مُتعاقِبَةً بِحَسَبِ ترتيبِها في الحصولِ

رُتِّبت أفعالُ الانسلاخِ والاتِّباع والكونِ من الغاوين بفاءِ العطفِ، على حَسَبِ ترتيبها في الحصول، فإنَّه لمَّا عاندَ، ولم يعمل بما هداهُ اللّهُ إليه؛ حصلت في نفسهِ ظُلْمةٌ شيطانيَّة، مكَّنت الشَّيطانَ من استخدامهِ وإدامةِ إضلالهِ، فالانسلاخُ عن الآيات أَثَرٌ من وسوسةِ الشَّيطانِ، وإذا أطاعَ المرءُ الوسوسةَ؛ تمكَّن الشَّيطانُ من مَقادِهِ، فَسخَّرَهُ، وأدامَ إضلالَهُ؛ وهو المعبَّر عنه بلفظ (أَتْبَعَهُ)، فصار بذلك في زمرةِ الغُواة المتمكِّنين من الغوايةِ[3].

بلاغةُ التَّعبيرِ بالفعلِ الماضي: ﴿فَكَانَ﴾:

التَّنبيهُ على استعدادِهِ السَّابقِ للغوايةِ، وَوُقُوعِهِ اللَّاحقِ فيها

يحتمل أنَّ (كان) في قوله: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾، باقيةُ الدَّلالةِ على مَضمون الجملة واقعًا في الزَّمان الماضي، والتَّعبيرُ بـ(كان) للإشارةِ إلى تمكُّنِهِ في الغواية، ويحتمل أن تكونَ (كان) بمعنى (صار)، أي: صار من الضَّالِّين[4]، أي: صار من زُمرةِ الضَّالين الرَّاسخين في الغِواية بعد أن كان مُهْتَدِيًا[5]، فَنَبَّهَ بهذا الفعلِ على استعدادهِ السَّابقِ للغوايةِ وَوُقُوعِهِ وتمكُّنِهِ اللَّاحق فيها.

---

(1) وهو الظَّاهر من حاله بعد انسلاخه، كما ذكره كثير من المفسّرين، بعد أن قام هذا الرَّجل ليدعوَ على نبي الله موسى ﷺ، ومن معه من المؤمنين، وخاب سعيه في عدم استطاعته الدُّعاء: فقال لقومه: قَدْ ذَهَبَتْ منِّي الآن الدُّنيا والآخرة، فلم يبقَ إلَّا المكر والخديعة والحيلة، وسأمكر لكم، فإنِّي أرى أن تُخرجوا إليهم فتياتكم، فإنَّ الله يبغض الزِّنى، فإن وقعوا فيه هلكوا؛ ففعلوا فوقع بنو إسرائيل في الزِّنى، فأرسل اللهُ عليهم الطَّاعونَ، فماتَ منهم سبعونَ ألفًا. يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 319/7.

(2) طنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 435/5، وعبد القادر ملا حويش، تفسير القرآن العظيم: 453/1.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 176/9.

(4) أبو حيّان الأندلسيّ، البحر المحيط: 220/5.

(5) الآلوسيّ، روح المعاني: 103/5.

سِرُّ التَّعبيرِ بقولِهِ: ﴿مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾:

﴿مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ أي: من زمرةِ الضَّالِّين الفاسدين الرَّاسخين في الغواية والفساد[1]، وقد أكَّدَ النَّظمُ الكريمُ الغوايةَ لهذا الرَّجلِ، بوصفِهِ ﴿مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾، فأَظْهَرَ الوصف المقتضي للإيغال في الغوايةِ، أي: كان في عِدادهم، فإنَّ التَّعريفَ في الغاوين تعريفُ الجنسِ، والإخبارُ عنه أنَّه من الغاوين، يُفيد أنَّه واحدٌ من الفئة الَّتي تُعرف عند النَّاسِ بفئةِ الغاوين فيُفيد أنَّه غاوٍ إفادةً بطريقةٍ تُشبهُ طريقةَ الاستدلالِ، فهو من قبيلِ الكنايةِ الَّتي هي إثباتُ الشَّيء بإثباتِ ملزومِهِ، وهي أبلغُ من التَّصريحِ؛ لأنَّ قولَك: فلانٌ من الغاوين، أبلغُ في الوصفِ من قولِ: فلان غاوٍ؛ لأنَّك تشهدُ له بكونِهِ معدودًا في زُمرتهم ومعروفةً مساهمته لهم في الغواية؛ فهو أشدُّ مبالغةً في الاتِّصاف بالغوايةِ من أن يقالَ: وَغوى أو كان غاويًا[2].

المبالغةُ في الوصفِ المقتضي للتَّرسوخِ في الغوايةِ والمبالغةِ فيها

دلالاتُ التَّعقيبِ بذمِّ عَالمِ السُّوء ووصفِ حالِهِ:

ضربَ اللهُ تعالى هَذَا المَثَلَ لعَالمِ السُّوءِ الَّذي يعمَلُ بخِلافِ عِلْمِه، وقد تضمَّنَت هذه الآيةُ ذَمَّهُ مِن عِدَّة وجوهٍ: أحدُها: أنَّه ضلَّ بعد العِلمِ، واختار الكُفرَ على الإيمانِ، عَمْدًا لا جَهلًا. ثانيها: أنَّه فارقَ الإيمانَ مُفارقةَ مَن لا يعودُ إليه أبدًا، فإنَّه انسلخَ مِن الآياتِ بالجُملةِ، كما تنسلِخُ الحيَّةُ مِن قِشرِها، ولو بَقِيَ معه منها شيءٌ لم ينسلِخْ منها. ثالثُها: أنَّ الشَّيطانَ أدرَكَه ولَحِقَه بحيثُ ظفِرَ به وافترَسَه؛ ولهذا قال: فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ، ولم يقُلْ: تَبِعَه؛ فإنَّ في معنى أتبَعَه: أدرَكَه ولَحِقَه، وهو أبلَغُ مِن تَبِعَه لفظًا ومعنًى. رابعُها: أنَّه غَوى بعد الرُّشدِ، والغَيُّ: الضَّلالُ في العِلمِ والقَصدِ، وهو أخَصُّ بفسادِ القَصدِ والعَمَلِ، كما أنَّ الضَّلالَ أخَصُّ بفسادِ

العالمُ المنسلخُ من الهدايةِ، ينقلبُ علمُهُ إلى شؤمٍ وفسادٍ وغوايةٍ

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل: 42/3، والآلوسيّ، روح المعاني: 103/5، ورشيد رضا، تفسير المنار: 405/9.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 176/9.

العِلمِ والاعتقادِ، فإذا أُفرِدَ أحدُهما؛ دخل فيه الآخَرُ، وإن اقتَرَنا؛ فالفَرْقُ ما ذُكِرَ[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الخبر والنَّبأ:

النَّبأ: الخبرُ الَّذي له شأنٌ عظيمٌ[2]، ومنه اشتقاقُ النُّبوَّةِ؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ، مُخبِرٌ عن الله تعالى، ويَدُلُّ عليه قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢﴾ [النَّبأ: 1 - 2] فوصْفُهُ بالعظمةِ، وصفٌ كاشِفٌ عن حقيقته، ولا يُقالُ للخبر: نبأٌ، حتَّى يَتَضَمَّنَ هذه الأشياء، والصِّيغة الفعليَّة للنَّبأ (أنبأ) أقوى أيضًا منها للخبر (أَخْبَرَ)، ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ۝١٠٣﴾ [الكهف: 103][3].

النَّبأ خبرٌ ذو شأنٍ عظيمٍ، والخبرُ أعمُّ

الشَّيطان، والجنّ، وإبليس:

لفظةُ الجنِّ بالنَّظر إلى أصل معناها تدلُّ على الاستتارِ والخفاء عن الأبصار، ولهذا سُمِّيتِ الجنُّ بذلك لاستجنانهم واستتارِهم عن العيون، وهم أجسامٌ هوائيَّةٌ قادرةٌ على التَّشكُّل بأشكال مختلفة، لها عقولٌ وإفهام[4]، والمشهورُ أنَّ جميعَ الجنِّ من ذريَّة إبليس[5]، ومن تبعَهُ منهم يُقال له: شيطانٌ، فالجنُّ هم ولدُ إبليسَ، كما أنَّ الإنسَ ولدُ آدمَ، ومن هؤلاءِ وهؤلاءِ مُؤمنون وكافرون، فمن كانَ من هؤلاءِ وهؤلاءِ مُؤمنًا فهو وليُّ الله، ومن كان من هؤلاءِ وهؤلاءِ كافرًا فهو شيطان[6]، فالشَّيطانُ اسمٌ لأتباع إبليسَ سواءٌ كانوا من الجنِّ أو الإنس، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ

الشَّيطانُ اسمٌ جامعٌ لأتباعِ إبليسَ، سواءٌ كانوا من الجنِّ أم مِنَ الإنسِ

(1) ابن قيّم الجوزيّة، الفوائد، ص: 101، 102.
(2) الرّاغب، المفردات، ص: 481.
(3) أبو هلال العسكريّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 529.
(4) محمّد بن عبد الله الشّبليّ، آكام المرجان في أحكام الجانّ، ص: 23، وإسماعيل حقّي، روح البيان: 280/3.
(5) الدَّميريّ، حياة الحيوان الكبرى: 300/1.
(6) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 5/19.

﴿وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗا﴾ [الأنعام: 112]؛ بل إنَّ العربَ تُسمِّي كُلَّ مُتمرِّدٍ شيطانًا، ولو كان من غير الجنِّ والإنس، قال الجوهريُّ: "كلُّ عاتٍ مُتمرِّدٍ من الجنِّ والإنس والدَّوابِّ شيطانٌ، والعرب تُسمِّي الحيَّة: شيطانًا[1]، والخلاصةُ: أنَّ إبليسَ اسمُ علمٍ، يطلق على الشَّيطان، وهو مشتقٌّ من الإبلاس، وهو الإبعادُ من الخير، أو اليأسُ من رحمة الله، والشَّيطان بعيدٌ عن الخيرِ وعن رحمةِ اللهِ، فاصطفى النَّظمُ الكريمُ الأنسبَ بالسِّياق زيادةَ تقبيحٍ لمن أكرمه اللهُ بالعلم، فانسلخَ منهُ.

الغاوين والضَّالّين:

الضَّلالُ فقدانُ الطَّريقِ الموصل، والغوايةُ العدولُ عن الصِّراطِ تَقَصُّدًا

الضَّلالُ: فقدانُ ما يُوصِلُ إلى المطلوب، وقيل: هو سلوكُ طريقٍ لا يُوصلُ إلى المطلوبِ[2]، وكلُّ عدُولٍ عَن النَّهجِ عمدًا أَو سَهوًا قَليلًا كَانَ أَو كثيرًا[3]، فَهُوَ ضلالٌ، وفي بابِ الحقِّ والباطلِ يكون الضَّلالُ عدولًا عن الطَّريق المستقيم[4]، وقد يكونُ عن قصدٍ أو عنْ غير قَصْدٍ، ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ﴾ [الجاثية: 23]، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤﴾ [الكهف: 104]، أمَّا الغوايةُ؛ فهي جهلٌ من اعتقادٍ فاسد[5]، فلَا يكونُ للغاوي مَقْصِدٌ إلى الطَّريق المُسْتَقيم[6]، والغواية إمعانٌ في الضَّلال. كما أنَّ الضَّلالَ عامٌّ[7]، يكون للعاقل وغيرِه، فيُقال: ضلَّتِ الدَّابَّةُ، ولا يُقال: غوتِ الدَّابَّةُ، أمَّا الغوايةُ؛ فهي للعاقل المُكلَّف. والضَّلالُ نقيضُ الهُدى، قال الله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ﴾ [فاطر: 8] وقال: ﴿وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ

(1) الجوهريّ، الصّحاح: 2144/5.
(2) الشّريف الجرجاني، التَّعريفات، ص: 138.
(3) الكفويُّ، الكليّات، ص: 567.
(4) المناويُّ، التّوقيف، ص: 223.
(5) الرّاغب، المفردات: (غوى).
(6) الكفويُّ، الكليّات، ص: 576.
(7) النَّيسابوريُّ، غرائب القرآن: 199/6.

وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ [طه: 79]، والغِوايَةُ نقيض الرُّشْدِ قال تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًاۚ﴾ [الأعراف: 146]، وقال: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ﴾ [البقرة: 256]. فالنَّاس ثلاثةٌ: راشدٌ، وغاوٍ، وضالٌّ، فالرَّاشدُ: عَرَفَ الحقَّ، واتَّبَعُهُ، والغاوي: عَرَفَه، ولم يتَّبعْه، والضَّالُّ: لم يعرفْهُ بالكلِّيَّة[1]، وقدِ اجتمع نفيُ الضَّلالِ والغواية في قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾ [النَّجم: 2]، فأثنى عليه بكمالِ العِلْم والعمل[2]، فالضَّلالُ أعمُّ، وهو ألَّا يَجِدَ السَّالكُ إلى مقصدِهِ طريقًا أصلًا، والغِوايةُ ألَّا يكونَ لهُ إلى المَقْصَدِ طريقٌ مستقيم[3]، فاصطفى النَّظمُ لفظَ الغاوين؛ لأنَّهُ الألصقُ بالسِّياقِ.

(1) ابن رجب، جامع العلوم والحكم: 126/2.
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 411/7.
(3) النَّيسابوريُّ، غرائب القرآن: 199/6، والتَّهانوي، كشَّاف اصطلاحات الفنون: 1119/2.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 15 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-11-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 15 : المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26.
-1القرآن - تفاسير نحوية -2 القرآن، بديع -3 القرآن، بلاغة -4 القرآن - سور وآيات -5 القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-11-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7668393 بتاريخ 2024/01/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»